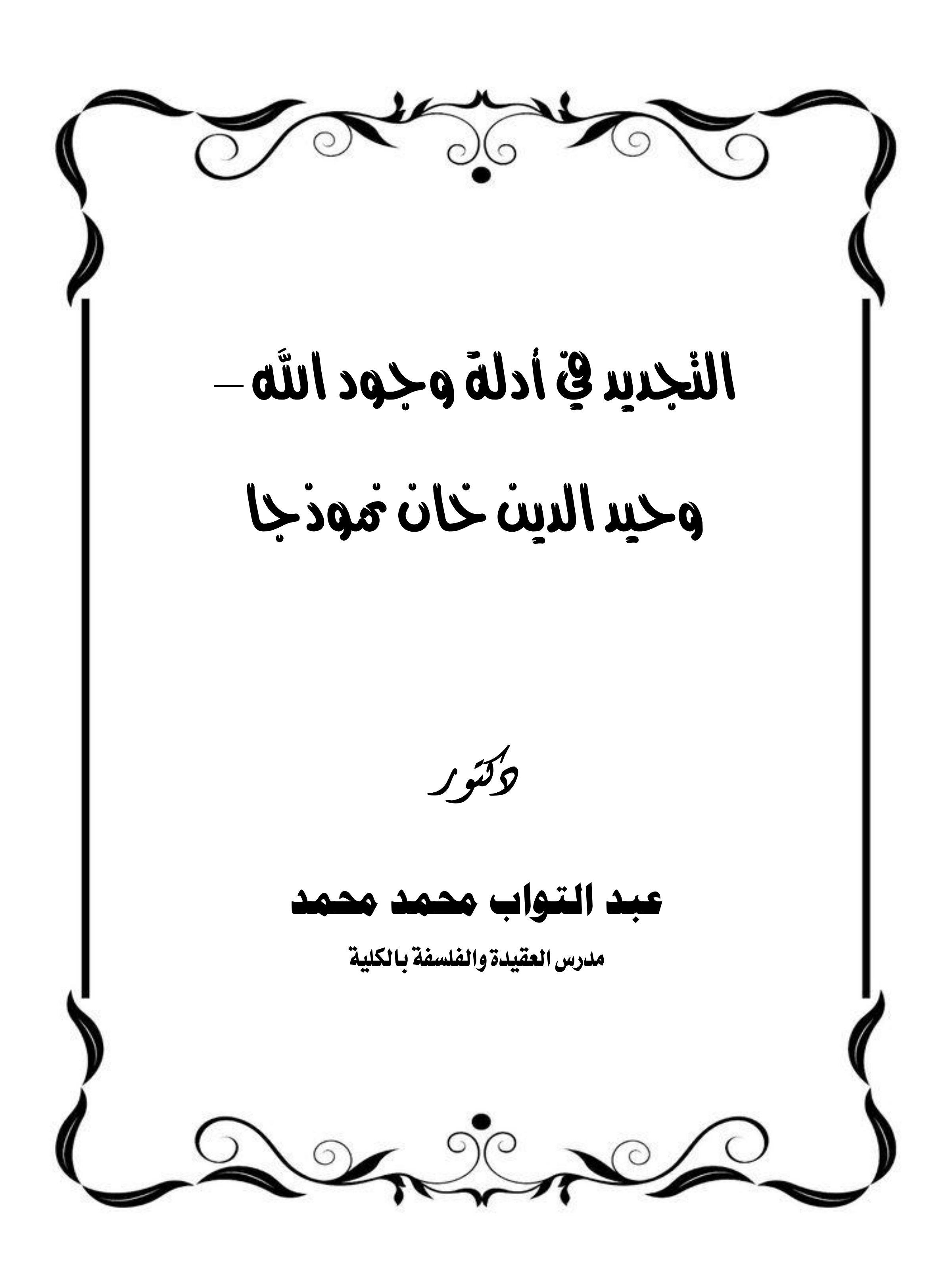


التجديد في أدلة وجود الله – وحيد الدين خان نموذجا

دكتور

عبد التواب محمد محمد

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية


مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية


مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم


مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد.

فإن العقل الإنساني شُغِل منذ وجوده بالغيبيات، يبحث عنها، وينشغل بين إنكارها أو محاولة إثباتها وإقامة الدليل عليها، وتعتبر مسألة وجود الله عز وجل من أهم ما انشغل به الإنسان منذ القدم، حيث احتدم الصراع حولها بين منكرين لوجود الله تعالى، وبين مؤمنين بالغيب مقرين بوجود الخالق المدبر.

ولأن وجود الله تعالى مركوز في العقول الصحيحة والفِطر السليمة لم ينشغل العلماء في أول الأمر بمحاولة إقامة الأدلة على هذ اليقين، إلا أن ظهور فريق ينكر وجوده تعالى، ويجادل في البديهيات والمسلمات التي تعلن وجود الله عز وجل جعل العلماء والمتكلمين يقيمون الأدلة على وجود الله تعالى، ويتفننون في إقامة الاستدلالات العقلية التي تدحض شبه المنكرين وتفند أدلة المبطلين.

وقد تنوعت مسالك المتكلمين في إثبات وجود الله تعالى، وتعددت طرق الاستدلال، لكنها كانت تقوم على الأدلة العقلية المنطقية التي تناسب طبيعة الاستدلال السائدة آنذاك، وتبارى المتكلمون في الأدلة المنطقية والقياسات العقلية التي قدمت أدلة غاية في الاتقان والإحكام.

ورغم أن هذه الأدلة كانت صالحة للمناقشة والجدال والحوار وقت ظهورها، إلا أنه بمرور الوقت وتقدم العلوم أصبح العلم الحديث قائما على التجريب والنظريات العلمية، وظهر ملاحدة جدد ينكرون وجود الله تعالى، ويستندون للعلم الطبيعي – في زعمهم – في إنكارهم لوجود الله تعالى.

أصبحت الحاجة ماسة إلى التجديد في طريقة مجادلة الملحدين وإقامة الأدلة عليهم بطريقة تناسب عقولهم، وتتماشى مع طبيعة العصر العلمية.



وهنا كان دور الأستاذ وحيد الدين خان الذي أبدع في عرض الأدلة العلمية على العقائد الدينية المختلفة، ومن أهم ما تناوله الأستاذ: الأدلة العلمية على وجود الله تعالى، وقد كان –حفظه الله– مطلعا على علوم العصر الحديث وآراء رجالات العلم والفلسفة، ونتائج الأبحاث العلمية الحديثة، مما أثرى هذه الأدلة، وقدم نموذجا علميا مقنعا.

لذلك رأيت أن يكون بحثي بعنوان: "التجديد في أدلة وجود الله – وحيد الدين خان نموذجا".

وقد قسمته إلى تمهيد وأربعة مباحث:

أما التمهيد : تجديد علم الكلام .

المبحث الأول : أدلة المتقدمين على وجود الله .

المبحث الثاني: أدلة وجود الله تعالى عند وحيد الدين خان.

المبحث الثالث: المنهج العلمي عند المتقدمين.

ثم الخاتمة، ومراجع البحث، والفهارس العامة .

والله أسال أن يكون هذا البحث بابا يفتح مجالا للتجديد في عرض الأدلة بما يتناسب مع روح العصر العلمية الحديثة.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

عبد التواب محمد محمد

التمهيد

تجديد علم الكلام



قام علم الكلام منذ نشأته بدور هام في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وعرض أدلتها، ومواجهة المخالفين وتفنيد حججهم وإبطالها، وكان لعلمائه وأئمته أبلغ الأثر في الحفاظ على هذه العقيدة والتصدي للأفكار المنحرفة والعقائد الهدامة التي سادت في وقت من الأوقات، وقد أحسن في القيام بهذا الدور، وكانت مناهجه وأساليبه آنذاك مناسبة لعلوم العصر، متوافقة مع متطلباته.

لكن لما كان لكل عصر أدواته وأساليبه ومناهجه التي تتوافق مع عقول أهله وعلومهم، كان لا بد من تجديد أدوات ومناهج علم الكلام بصورة تتوافق مع علوم العصر الحديث، ذلك أن طبيعة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية اختلفت عن التحديات السابقة فكان لا بد من الاختلاف في طبيعة مواجهتها، إذ أن لكل عصر مشاكله وأفكاره وهمومه.

يقول الدكتور محمد عمارة: " نواجه تحديات جديدة لم تكن موجودة في القرون الإسلامية الأولى، من مثل: نهوض الآخر وتراجع عالم الإسلام، ومن مثل: صعود الفلسفات المادية والوضعية وثقافة الحداثة وتفكيك وعدمية ما بعد الحداثة، ومن مثل: التخلف الذاتي الموروث عن حقب التراجع الحضاري في الأمة الإسلامية وكذلك التجديد في المناهج"[١] .

(١) حوار مع د محمد عمارة ضمن " الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متعددة" إعداد" عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م .



وليس المقصود بالتجديد المساس بالعقيدة وثوابتها، لأن العقيدة ثابتة لا مجال للتجديد فيها، إنما مجال التجديد هو الفكر الإسلامي، وطريقة التفاعل بينه وبين الثوابت التي لا تتغير، ومحاولة عرض الأدلة والبراهين في صورة تعبر عن أصول الإسلام العامة وتتوافق مع المناهج الحديثة.

إذا كان المقصود والغاية من علم العقيدة كما هو واضح من تعريفات القدامى الدفاع عن العقيدة الإسلامية وعرض أدلتها وحراستها من الآراء والأقوال الباطلة.

فمقصوده عند أبي حامد الغزالي: " حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدع"[١].

وعند ابن خلدون : " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإسلامية الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[٢] .

وهو قريب من تعريف فلاسفة الإسلام الذي ذكره الفارابي:" صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[٣].

فكل ما يحقق هذا المقصود من مناهج وأساليب وأدلة، ويتوافق مع علوم العصر، ويدحض الشبه الحديثة فهو أولى بالدخول في هذ العلم .

---

١) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق : عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو – القاهرة ، ١٩٦٢، ص ١٣٢ .

(٢) المقدمة ، ص ٥٠٧ ، دار الجيل، بيروت .

(٣) أبو نصر محمد الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق : عثمان محمد علي، ص ٧١ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣١م .

المبحث الأول

أدلة المتقدمين على وجود الله



لم يبحث الأوائل المتقدمون في أدلة وجود الله تعالى بالتفصيل؛ لكون ذلك من المعلوم من الدين بالضرورة، فلا يحتاج إلى دليل، فلما حدثت الفتوحات الإسلامية واتصل الفكر الإسلامي بعقائد الملل الأخرى وبالأفكار الدخيلة بدأ الحديث عن وجود الله تعالى ووحدانيته تأثراً بالأفكار المعاصرة التي تسللت إلى الفكر الإسلامي مع الدخيل والمترجم.

ويمكن عرض أهم أدلة المتقدمين[1]على وجود الله تعالى بإيجاز على النحو التالي:

١ – دليل الحدوث :

ويعتمد هذا الدليل على مسألة حدوث العالم بكل أجزائه، وأن كل حادث لا بد له من محدث، ولابد أن ينتهي الدليل بوجود محدث قديم هو الله عز وجل.

وقد صاغه الإمام الإيجي، فقال:

" قد علمت أن العالم إما جوهر أو عرض، وقد يستدل بكل واحد منهما إما بإمكانه أو بحدوثه، فهذه وجوه أربعة، الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر، وهو أن العالم حادث وكل حادث فله محدث. الثاني: بإمكانها، وهو أن العالم ممكن لأنه مركب وكثير، وكل ممكن فله علة مؤثرة. الثالث: بحدوث الأعراض، مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما، إذ لا بد من مؤثر صانع حكيم، الرابع: بإمكان الأعراض، وهو أن

---

١) لن أستفيض في ذكر تفاصيل أدلة المتقدمين على وجود الله تعالى؛ لأنها ليست المقصد الأساس للبحث وإنما تعد مدخلا للحديث عن تجديد هذه الأدلة



الأجسام متماثلة فاختصاص كل بما له من الصفات جائر، فلا بد في التخصيص من مخصص له"[1] .

ويستدلون على نظرية الحدوث، وأن كل حادث لا بد له من محدث بطرق متعددة، منها ما ذكره الإمام الباقلاني:

" وأن يعلم أن العالم محدث، وأنه لا ينفك علوية وسفلية من أن يكون جسماً مؤلفاً، أو جوهراً منفرداً، أو عرضاً محمولاً. وهو محدث بأسره. وطريق العلم بحدوث أجسامه وحدوث أعراضه. والدليل على ثبوت أعراضه: تحرك الجسم بعد سكونه، وتفرقه بعد اجتماعه، وتغير حالاته، وانتقال صفاته، فلو كان متحركاً لنفسه، ومتغيراً لذاته لوجب تركه في حال سكونه، وتغيره واستحالته في حال اعتداله، وفي بطلان ذلك دليل على إثبات حركته، وسكونه، وألوانه، وأكوانه، وغير ذلك من صفاته، لأنه إذا لم يكن كذلك لنفسه وجب أن يكون لمعنى ما تغير عن حاله واستحال عن وصفه.

والدليل على حدوث هذه الأعراض: ما هي عليه من التنافي والتضاد، فلو كانت قديمة كلها لكانت لم تزل موجودة، ولا تزال كذلك، ولوجب متى كانت الحركة في الجسم أن يكون السكون فيه، وذلك يوجب كونه متحركاً في حالة سكونه، وميتاً في حال حياته، وفي بطلان ذلك دليل على طروق السكون بعد أن لم يكن، وبطلان الحركة عند مجيء السكون، والطارىء بعد عدمه، والمعدوم بعد وجوده محدث باتفاق؛ لأن القديم لا يحدث ولا يعدم، ولا يبطل.

---

١) المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق د: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ٣/ ٧ .



والدليل على حدوث الأجسام: أنها لم تسبق الحوادث، ولم تخل منها، لأننا باضطرار نعلم: أن الجسم لا ينفك من الألوان، ومعاني الألوان من الاجتماع والافتراق، وما لا ينفك من المحدثات، ولم تسبقه كان محدثاً . ولأنه إذا لم يسبقه كان موجوداً معه في وقته أو بعده، وأي ذلك وجد وجب القضاء على حدوثه، وأنه معدوم قبل وجوده.

وأن يعلم أن للعالم محدثاً أحدثه. والدليل على ذلك وجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر، ولا يجوز أن يكون ما تقدم منها وتأخر متقدماً ومتأخراً لنفسه، لأنه ليس التقدم بصحة تقدمه أولى من التأخر بصحة تأخره، فوجب أن يدل على فاعل فعله، وصرفه في الوجود على إرادته وجعله مقصوراً على مشيئته، يقدم منها ما شاء ويؤخر ما شاء"[(١)].

وقريب من هذا ما قاله الإمام الماتريدي:

"ودليل آخر، أن العالم لا يخلو من أن يكون: قديما على ما عليه أحواله من اجتماع وتفرق، وحركة وسكون، وخبيث وطيب، وحسن وقبيح، وزيادة ونقصان، وهن حوادث بالحس والعقل، إذ لا يجوز اجتماع الضدين، فثبت التعاقب، وفيه الحدث، وجميع الحوادث تحت الكون بعد أن لم تكن، فكذلك ما لا يخلو عنها ولا يسبقها، أو كان إنشاؤه عن أصل لا بهذه الصفة وانتقل إليها باعتراضها فيه. فإن كان كذلك ثبت أن هذا العالم حادث، وبطل قول من ينكر الحدث ...... ثم الدليل على أن للعالم محدثا

---

١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، ص١٧، ١٨.



أنه ثبت حدثه بما بينا، وبما لا يوجد شيء منه في الشاهد يجتمع بنفسه ويتفرق، ثبت أن ذلك كان بغيره. والله الموفق. والثاني : أن العالم لو كان بنفسه لم يكن وقت أحق به من وقت، ولا حال أولى به من حال، ولا صفة اليق به من صفة، وإذا كان على أوقات وأحوال وصفات مختلفة ثبت أنه لم يكن به، ولو كان لحاز كل شيء لنفسه أحوالا هي أحسن الأحوال والصفات وخيرها، فيبطل به الشرور والقبائح، فدل ذلك على كونه بغيره. والله الموفق"(١).

ولا يخفي ما في هذه الاستدلالات من عبارات غامضة ومصطلحات بعيدة عن الأفهام، يمكن صياغتها وتقريرها بطريقة أوضح تجلي غوامضها، رغم وضوح الدليل في أصله إلا أن طريقة عرضه ولغة تقديمه يشوبها كثير من الإبهام، مما يحتاج إلى شرح وبيان.

٢ – دليل الوجوب والإمكان:

وخلاصته : أن موجد هذا الكون أما أن يكون : واجباً أو مستحيلاً أو ممكناً. ولا يوجد قسم رابع، لأن هذه أقسام الحكم العقلي.

ولا يجوز أن يكون موجد العالم مستحيلاً ، لأن المستحيل لا يتصور وجوده مطلقاً فهو عدم محض ، فلا يمكن أن يوجد غيره.

كما لا يجوز أن يكون موجد للعالم ممكناً، لان الممكن لا يوجد إلا إذا وجد سبب وجوده ، وهذا السبب إن كان ممكناً فعندئذ يحتاج إلى سبب آخر ... الخ وهكذا. وهذا يلزم منه الدور أو التسلسل وكلاهما باطل.

---

١) كتاب التوحيد، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق: الأستاذ الدكتور: بكر طوبال أوغلي، والأستاذ الدكتور : محمد أروشي ، دار صادر – بيروت ، ودار الإرشاد – استانبول ، ص ٧٩ – ٨٣ بتصرف .



ولما ثبت إن موجد العالم ليس بمستحيل ولا بممكن وجب أن يكون موجد العالم واجب الوجود. فلا يحتاج وجوده إلى سبب بل هو علة العلل وسبب وجود العالم.

يقول الإيجي :" مدبر العالم إن كان واجب الوجود فهو المطلوب، وإلا كان ممكنا فله مؤثر ويعود الكلام فيه، ويلزم إما الدور أو التسلسل، وإما الانتهاء إلى مؤثر واجب الوجود لذاته، والأول بقسميه باطل لما مر، فتعين الثاني وهو المطلوب... وللحكماء: إن كان واجبا فذاك وإن كان ممكنا احتاج إلى مؤثر ولا بد من الانتهاء إلى الواجب وإلا لزم الدور أو التسلسل "(١).

وصاغه أيضا مع نسبته إلى بعض المتأخرين قائلا: "جميع الممكنات من حيث هو جميع ممكن لاحتياجه إلى أجزائه التي هي غيره فله علة، وهي لا تكون نفس ذلك المجموع إذ العلة متقدمة على المعلول ويمتنع تقدم الشيء على نفسه، ولا تكون جزءه إذ علة الكل علة لكل جزء، فيلزم أن يكون علة المجموع علة لنفسه ولعلله، فإذا هو أمر خارج عنه، والخارج عن جميع الممكنات واجب لذاته، وهو المطلوب"(٢) .

وقد اعتمد الفارابي وابن سينا على هذا الدليل في الاستدلال على وجوب الواجب بذاته، يقول ابن سينا: " لا شك أن هنا وجودا، وكل وجود: فإما واجب، وإما ممكن، فإن كان واجبا فقد صح وجود الواجب، وهو المطلوب، وإن كان ممكنا فإنا نوضح أن الممكن ينتهي وجوده إلى واجب الوجود"(٣)،

---

١) المواقف ، ٣/ ٨ .

٢ السابق، نفس الجزء والصفحة .

٣) أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، النجاة، الطبعة الثانية ١٩٣٨م، ص ٢٣٥ .



ويقول : " ما حقه في نفسه الإمكان فليس يصير موجودا من ذاته، فإنه ليس وجوده من ذاته أولى من عدمه من حيث هو ممكن، فإن صار أحدهما أولى، فلحضور شيء أو غيبته، فوجود كل ممكن هو من غيره"(١) .

ويسير الفارابي على نفس المنوال فيقول: " إن الموجودات على ضربين، أحدهما : إذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده، ويسمى الممكن الوجود، والثاني: إذا اعتبر ذاته وجب وجوده، ويسمى واجب الوجود، وإذا كان ممكن الوجود إذا فرضناه غير موجود لم يلزم منه محال، ولا غنى بوجوده عن علمه، وإذا وجب صار واجب الوجود بغيره، فيلزم من هذا أنه كان مما لم يزل ممكن الوجود بذاته، واجب الوجود بغيره"(٢) .

ويعتمد هذا الدليل بصورة أساسية على مسألة إبطال الدور والتسلسل حتى يمكن الانتهاء إلى موجد واجب الوجود، لذلك فإنهم يٌلحقون به الأدلة على إبطال الدور والتسلسل.

يقول الإمام التفتازاني:" أما بطلان الدور فلأنه يستلزم تقدم الشيء على نفسه وهو ضروري الاستحالة، وجه الاستلزام: أن الشيء إذا كان علة لآخر كان متقدما عليه، وإذا كان الآخر علة له كان متقدما عليه، والمتقدم على المتقدم على الشيء متقدم على ذلك الشيء، فيكون الشيء متقدما على نفسه، ويلزمه كون الشيء متأخرا عن نفسه، وهو معنى احتياجه إلى نفسه وتوقفه على نفسه، والكل بديهي الاستحالة ....

١) الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، الطبعة الثانية ٤٤٨/٣ .

٢) الفارابي، أبو نصر بن طرخان، عيون المسائل، مطبعة دار المعارف العثمانية- حيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى ١٩٢٦م، ص ٤ .



واحتجوا على بطلان التسلسل بوجوه، الأول: أنه لو تسلسلت العلل والمعلولات من غير أن ينتهي إلى علة محضة لا يكون معلولا لشيء، لكان هناك جملة هي نفس مجموع الممكنات الموجودة المعلول كل من آحادها لواحد منها، وتلك الجملة موجودة ممكنة، أما الوجود فلانحصار أجزائها في الموجود، ومعلوم أن المركب لا يعدم إلا بعدم شيء من أجزائه، وأما الإمكان فلافتقارها إلى جزئها الممكن، ومعلوم أن المفتقر إلى الممكن لا يكون إلا ممكنا، ففي جعلها نفس الموجودات الممكنة تنبيه على أنها مأخوذة بحيث لا يدخل فيها المعدوم أو الواجب"[1]

ويبطله الفارابي قائلا: " وممكن الوجود يحتاج في الوجود إلى علة تخرجه من العدم إلى الوجود، فكل ما له وجود لا عن ذاته فهو ممكن الوجود، وكل ممكن الوجود فوجوده عن غيره يستند إلى الواجب الوجود بذاته، ولا يجوز أن يكون الشيء علة نفسه، لأن العلة تتقدم على المعلول بالذات، وذلك إذا قلنا: (أ) علة (ب) فإنما نعني بذلك أن وجود (ب) من وجود (أ)، وهذا يقتضي أن يكون وجود العلة متقدما على المعلول، ولا يكون للسيء وجودان، أحدهما متقدم وعلة، والآخر متأخر ومعلول، حتى يكون الشيء علة نفسه"[(٢)] .

٣ – دليل العناية والاختراع:

وخلاصة هذا الدليل تدور حول: أن الله تعالى خلق هذا الكون وفق نظام محكم، وتوازن دقيق، وقد أبدع المولى هذا الصنع على غير مثال سابق،

---

١) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، ـ باكستان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ١/ ١٦٤، ١٦٥ .

٢) عيون المسائل، رسالة زينون، ص ٤ .



فوجود هذا الكون على هذه الصورة البديعة من الإتقان والإحكام يدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى.

ويقرر ابن رشد أن هذا الدليل هو الطريقة الشرعية التي نبه عليه الكتاب العزيز، واعتمدها الصحابة رضوان الله عليهم، يقول: " الطريقة النى نبه الكتاب العزيز عليها تنحصر في جنسين، أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه دليل النابة، والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه دليل الاختراع.

فأما الطريقة الأولى فتبنى على أصلين: أحدهما: أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان، والأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق، فأما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له..... وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها جود الحيوان كله ووجود النبات كله، ووجود السموات، وهذه الطريقة تبنى على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس: أحدهما : أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات...... وأما الأصل الثاني فهو: أن كل مخترَع فله مخترِع"(١).

---

١) مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تقديم وتحقيق الدكتور: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، ص ١٥٠، ١٥١ .



ورغم قوة هذا الدليل في كلام ابن رشد، واعتماده على أدلة الكتاب العزيز، واستدلالات الصحابة رضوان الله عليهم، إلا أن حصر الطريقة الشرعية في هذا الدليل غير مسلم، فكل الأدلة التي أقامها المتكلمون على وجود الله تعالى – رغم صعوبة عرضها – إلا أنها يمكن الرجوع بها إلى استدلالات القرآن الكريم وأقوال السابقين، فليس الدليل الشرعي محصورا فقط في دليل العناية والاختراع.

ومع ذلك فإن هذا الدليل يعد من أوضح الأدلة التي تناسب العصر الحديث، وأقدرها على مجاراة طريقة العلوم الحديثة التي يحتاجها منطق العصر .

هذه أشهر الأدلة التي اعتمد عليها السابقون في تقرير وجود الله عز وجل، ولا يخفى ما في الأدلة من غموض في العرض، فضلا عن اللغة التي تمت صياغتها بها والتي لا تتناسب مع لغة العصر الحديث .



الحاجة إلى تجديد أدلة وجود الله

ليست الحاجة إلى تجديد أدلة وجود الله تعالى وليدة العصر الحديث بتعقيداته وتطوراته، إنما هي في أذهان العلماء منذ أن شعروا أن الأدلة التي أقامها الأقدمون على وجود الله تعالى لم تعد تغني كلما تقادم الزمان.

يقول ابن خلدون:" وعلى الجملة، فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا. وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عن الكثير من إيهاماته وإطلاقاته لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها"[١] .

وليس المقصود أن الملاحدة قد انقرضوا، وإنما المقصود أن الشبه التي تعلقوا بها قديما قد أزيلت وفندها العلماء وأوضحوا بطلانها، وظهرت شبه جديدة تساير العصر وعلومه .

ويبين الإمام الغزالي أن مناهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى ليست طرقا ملزمة للأخذ بها، لأنها ليست نصوصا قطعية، وإنما هي استدلالات واجتهادات وافقت علوم العصر الذى ظهرت فيه، يقول:" مناهج المتكلمين غير برهانية، ولا مفضية بيقين إلى وجود الله تعالى،

(١) ابن خلدون، المقدمة ص ٥١٧ .

وليست هي بالطرق الشرعية التي نبه الله عليها ودعا الناس إلى الإيمان من قبلها"[١] .



ومقصود الإمام الغزالي: أن هذه الأدلة ليست هي المقصود الأوحد الذي نبه عليه الشرع، ولا يمكن حصر الأدلة والبراهين في مناهج المتكلمين فقط.

فضلا عن ذلك فإن أدلة المتقدمين تمت صياغتها بلغة العصر التي كتبت فيه، وبالاصطلاحات الفنية التي سادت عم الكلام في هذه الفترة، مما يجعلها صعبة على الأفهام، تحتاج إلى متمرس على التعامل مع هذه الصياغات والأساليب.

يقول بعض الباحثين: " أدلة المتكلمين على وجود الله تعالى غامضة في عباراتها، مبهمة في دلالاتها، ولا ينتفع بها إلا فئة خاصة وقفت على اصطلاحاتها الفنية، وتمرست على أساليبها المليئة بالتعقيد والالتواء"[٢] .

وفي ذلك يقول الأستاذ محمد يوسف موسى: " الأدلة التي كان يحصل بها إقناع أو تسليم فيما مضى من الزمان، قد لا يحصل بها هذا في الزمن الذي نعيش فيه، بعد تقدم العلم وبخاصة في العلوم الطبيعية التي لا تسلم إلا بما يقع في دائرة التجربة والاختبار، والتي تمدنا حقا بأدلة لا ريب فيها على وجود قوة عليا خلقت هذا العالم، وتدبره حسب قوانين طبيعية لا

---

(١) أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام .

(٢) مجلة أبحاث الإيمان، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد الثاني، السنة الثانية، صفر ١٤١٧هـ ص ١٢- ١٣ .



تختلف مطلقا، وبدون هذه القوة – أو الله الخالق العليم – لا يمكن تفسير هذا الكون العجيب"(١).

ولا يفهم من هذه الاعتراضات أن هذه الأدلة غير صالحة، أو أنها لا تؤدي الغرض المطلوب منها، غاية ما في الأمر أن اختلاف لغة العلم السائدة، وتغير طرق الإقناع أدت بكثير من المتلقين إلى عدم التفاعل مع هذه الطرق في الإقناع، والبحث عن طرق وأدلة بأسلوب مبسط يناسب العصر ومناهجه.

١) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، محمد يوسف موسى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٥ ، ص ٥١ .



المبحث الثاني

أدلة وجود الله تعالى عند وحيد الدين خان

تمهيد :

لا بد لكل علم من العلوم من مناهج للبحث خاصة به، يتبعها الباحث في عرض قضاياه والاستدلال عليها، تتوافق هذه المناهج مع قضايا وأفكار العصر الذي يحيا فيه من جهة، وتتوافق مع المقصود الأساس والغاية المطلوبة من العلم، وقد كان لعلم الكلام في وقت ازدهاره مناهج متعددة في العرض، تنوعت باستخدام الفرق والمذاهب الإسلامية، بين المنهج النقلي المحض، والمنهج العقلي، والمنهج الذي يجمع بين النقل الصحيح والعقل السليم، ثم هناك المنهج الذي اعتمده البعض ويقوم على الذوق والإشراق.

ولكل منهج من هذه المناهج ما يميزه في العرض والجدال، لكن الذي لا يماري فيه أحد أن أكثر هذه المناهج لم تعد مناسبة لطريقة التفكير في العصر الحديث، ولا تتماس مع الشبهات المعاصرة، ولا يمكن لهذه المناهج وطريقة عرضها أن تنجح في إقناع المخالفين ودحض شبههم، وكان لا بد من طريقة ومنهج جديد في العرض والإقناع.

يقول وحيد الدين خان: " لا بد من إثبات حقية الإسلام بأسلوب جديد، إن الأسوب القديم ولو عرض بكلمات جديدة، لن يجدي نفعا في العصر الحديث، وهذ العمل ليس مطلوبا للرد على العقول المعادية فقط، بل إن حاجة المسلمين إليه أشد، لأنهم بالرغم من إيمانهم بالإسلام مبهورون



بأفكار العصر الحديث، ومعتقداتهم لن تترجم إلى يقين وأفعال لم يثبت لهم على مستوى فكر العصر الحديث"[١] .

ويرى في مقدمة كتابه (الدين في مواجهة العلم) أن الطرق القديمة للاستدلال لم تعد مناسبة للعصر الحديث الذي يقوم على أساس تجريبي علمي، يقول: " وعصرنا هذا الذي غَيَّر فيه العلم الكثير من حياة الإنسان، قد أصبح ينظر فيه بواسطة العلم كذلك إلى الطرق الاستدلالية القديمة (التي كان رجال الدين يستخدمونها في الماضي) على أنها طرق باطلة لا أساس لها، وأصبح الإنسان الحديث يؤمن بأن الطريقة الصحيحة والمعتمدة للاستدلال المقبول هي تلك التي أنتجها التفكير العلمي، ولذلك يطالب العقل الحديث بإخضاع الحقائق الدينية – إذا كانت حقائق صادقة – للمقاييس العلمية الحديثة للاستدلال، وإلا جاز لهذا العقل الحديث أن يشك في صحة حقائق الدين"[٢] .

إن هذا الأسلوب القديم لم يعد مناسبا لطريقة العصر الحديث التي تتبنى أدلة مغايرة تماما لما كانت عليه الأدلة السابقة، فعلى حين يعتمد أسلوب القدماء على الدليل المنطقي القائم على براهين عقلية منطقية مستندة إلى المنطق الأرسطي القديم، فإن العلم الحديث قد تجاوز المنطق الأرسطي بصورة كبيرة

---

١) الإسلام والعصر الحديث، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية ١٩٧٨م، ص ٥ .

٢) الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، دار النفائس- بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص ٦ .



"إن أسلوب البحث المنطقي القديم قد فقد وزنه في العصر الحاضر، فالمنطق القديم يقوم على قياسات عقلية، بينما يقوم المنطق الحديث الرائج في هذ العصر على العلم الذي يثبت الآراء بالوقائع وبالتحليل التجريبي"(١).

يقول الأستاذ محمد فريد وجدي: "بما أن خصومنا يعتمدون على الفلسفة الحسية والعلم الطبيعي في الدعوة إلى مذهبهم، فسنجعلها عمدتنا في هذه المباحث، بل لا مناص لنا من الاعتماد عليهما، لأنهما هما اللذان أوصلا الإنسان إلى هذه المنصة من العهد الروحاني الجدير بكماله، وكل الفرق بيننا وبينهم، أنهم يعتمدون عليهما وهما في دور القصور والغرور، ونحن نتعمد عليهما وهما في دور التكمل والنضوج" (٢).

أدلة وجود الله تعالى عند وحيد الدين خان

يرى الأستاذ وحيد الدين خان أن علم الكلام الجديد يختلف عن علم الكلام القديم في أبرز الجوانب وهو جانب الاستدلال، "علم الكلام القديم يبنى على نمط الاستدلال الفلسفي، بينما يبنى علم الكلام الجديد على نمط الاستدلال الطبيعي، وكانت الحقيقة تبرهن سابقا لمنطق القياس، ولكنها تبرهن في عصرنا هذا بالشهادات الواقعية"(٣).

---

١) تجديد الدين، وحيد الدين خان ، ترجمة الدكتور ظفر الإسلام خان، ص ٤٦

٢) على أطلال المذهب المادي، محمد فريد وجدى، مطبعة دائرو معارف القرن العشرين، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٣١ ، ص ١٤ .

٣) البعث الإسلامي، وحيد الدين خان، ترجمة: محسن عثمان الندوي، مرجعة د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، ص ١٠٣ .



في كتاب (الإسلام يتحدى) للأستاذ وحيد الدين خان تحدث تحت عنوان [الطبيعة تشهد بوجود الإله] حديثا علميا عمليا بحتا، لم يذكر فيه أي نص قرآني أو نبوي[1]، ولم يقم بأي محاولة للجمع بين الظواهر الطبيعية والنصوص القرآنية، إذ ليس ذلك من شأن هذا البحث، وإنما شأنه الاستدلال بالعلم الطبيعي على وجود الخالق سبحانه وتعالى .

وقد استعمل الشيخ – حفظه الله – دليل الطبيعة ليقلبه على الملاحدة الذين حاولوا الاستدلال به على مدعاهم كما ذكر هو قبل ذلك[2]، وهنا قلب الشيخ الاستدلال عليهم .

وفي البداية نقول :

لا يقصد الشيخ بالطبيعة هنا المعنى العلمي المتداول (الفيزياء) التي تتعرض للمادة [سمعيات ، بصريات، ميكانيكا، الفيزياء الذرية ...... الخ][3]، وإنما تتسع دلالة اللفظ عنده لتشمل عدة جوانب عرضها تحت عناوين منفصلة، هي :

أولا : الوجود والخلق

الأزلي : الخالق أم المادة ؟

---

١) على سبيل الاستدلال بهما، إلا أنه ذكر في صفحة ٨٣ الآيتين اللتين تحدثتا عن كلمات الله، من باب أنها متطابقة مع المعنى الذي أراد إيصاله من أن آيات الكون لا يمكن تدوينها كلها أبدا، وهو نفس المعنى المأخوذ من الآية .

٢) ص ١٨ .

٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ١٧٥٩/٣ .



ثانيا : الكشوف الفلكية (وهذا فرع علمي مستقل بذاته) ، الأنظمة المعقدة .

ثالثا : روح الكون الغريبة :

التوازن المدهش، قانون الضبط والتوازن، السنن الرياضية المحكمة، نظام العناصر والدورية (وهو من علم الكيمياء).

رابعا: خصائص حكيمة: صدفة أم عمليات حكيمة ؟

وقد أطال في الاستدلال وذكر الأمثلة في هذا الأمر لأننا نعلم تماما أن الصدفة هي حجة الملاحدة الداحضة، ومع كونها ليست دليلا يمكن ضبطه منطقيا أو تجريبيا إلا أنه لا بد من الرد عليها بشكل علمي لا بمجرد كلام إنشائي، وهذا ما تكفل الشيخ ببيانه .

عودٌ إلى دليل الطبيعة :

ابتدأ الشيخ الباب بذكر عنوان كتاب أصدرته الكنيسة المسيحية في جنوب الهند بعنوان [الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله][١]، وهذا ذكاء منه في أكثر من جانب :

١ – أنه ذكر أمرا تتفق فيه الديانات الإبراهيمية، وهو (دعوة الناس إلى عبادة الله) .

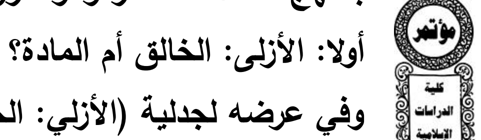
٢ – أنه لم يجعل الأمر قاصرا على كلمة المسلمين، بل إن هذه الظاهرة لتحتاج إلى تكاتف جميع الديانات .

٣ – أنها كنيسة هندية من نفس بلده التي يعيش فيها، وهذا مما يشير إلى حسن الصلة .

---

١) الإسلام يتحدى، ص ٥١ .

وقد ابتدأ كلام الباب بعرض موجز لمنهج المشككين، وبين أنه ليس بمنهج أصلا، فقد تذرعوا وتدثروا بشيء هلامي، هو (اللا أدريه)[1] .



أولا: الأزلى: الخالق أم المادة؟

وفي عرضه لجدلية (الأزلي: الخالق أم المادة؟) استفاد من المنجز العلمي الحديث في تقرير قاعدة المتكلمين القديمة (حدوث العالم)، وإذا كان الاستدلال الكلامي قديما يدور حول الصورية المنطقية بشكلها المعروف، فإن الشيخ عرض لهذه الصورة المنطقية بتأصيل علمي طبيعي مشاهد يمكن قياسه وتجريبه بناء على الاكتشافات العلمية الحديثة.

يقول: " القانون الذي نسميه (قانون الطاقة المتاحة) أو (ضابط التغير) Law of Entropy يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا، فهو يصف لنا أن الحرارة تنتقل دائما من (وجود حراري) إلى (عدم حراري)، والعكس غير ممكن وهو أن تنتقل هذه الحرارة من (وجود حراري قليل) أو (وجود حراري عدم) إلى (وجود حراري أكثر)، فإن ضابط التغير هو التناسب بين (الطاقة المتاحة) و (الطاقة غير المتاحة). وبناء على هذا الكشف العلمي الهام فإن (عدم كفاءة عمل الكون) يزداد يوما بعد يوم، ولابد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات، وحينذاك لا تبقى أية طاقة مفيدة (للحياة والعمل)، وسيترتب على ذلك أن تنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية ، وتنتهي –تلقائيا– مع هذه النتيجة (الحياة).

وانطلاقا من هذه الحقيقة القائلة بأن العمليات الكيماوية والطبيعية جارية وأن الحياة قائمة ، يثبت لدينا قطعا أن الكون ليس بأزلي ، إذ لو كان

---

١) وهو مصطلح إغريقي يشير إلى اتجاه أو مذهب معروف ، والعجيب أن مترجم الكتاب جعله مصطلحا أردیا، وهذا خطأ .



الكون أزليا لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمن بعيد بناء على هذا القانون ، ولما بقى في الكون بصيص من الحياة"[١].

ثم يؤيد هذا الرأي بعدد من الأدلة التي تثبت أن هذا الكون لم يكن موجودا منذ الأزل .

ثانيا: الكشوف الفلكية:

يستدل الأستاذ وحيد الدين خان بالكشوف الحديثة الخاصة بعلم الفلك التي تعتمد على الأجهزة العلمية والقياسات الحديثة على أنه لا بد لهذا الكون من موجد ومهيمن قادر.

يتحدث بداية عن اتساع حجم هذا الكون الفسيح، يقول:" إن كوننا هذا فسيح جدا. ولكي نفهمه نتصور طائرة خيالية تسير بسرعة (١٨٦.٠٠٠) ميلا في الثانية الواحدة وأن هذه الطائرة الخيالية تطوف بنا حول الكون الموجود الآن. إن هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق (١٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) سنة ، يضاف إلى ذلك أن هذا الكون ليس بمتجمد ، وإنما هو يتسع كل لحظة حتى إنه بعد (١.٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠) سنة تصير هذه المسافات الكونية ضعفين!! وهكذا لن تستطيع هذه الطائرة الخارقة في سرعتها الخيالية أن تكمل دورانها حول هذا الكون أبدا، وإنما سوف تظل تواصل رحلتها في نطاق هذا التوسع الدائم في الكون"[٢] .

" ويقدر علماء الفلك أن هذا الكون يتألف من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم مضروبا هذا العدد في (٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) من الملايين وفي كل مجموعة منها يوجد (مائة مليار) من النجوم، أو

١) الإسلام يتحدى، ص ٥٤، ٥٥ .

٢) السابق ص ٥٧ .



أكثر أو أقل ويقدرون أن أقرب مجموعة من النجوم وهي التي نراها في الليل كخيوط بيضاء دقيقة تضم حيزا مداه ألف سنة ضوئية. ونحن – سكان الأرض– نبعد عن مركز هذه المجموعة بمقدار ثلاثين ألف سنة ضوئية، وهذه المجموعة جزء من مجموعة كبيرة تتألف من سبع عشرة مجموعة وقطر هذه المجموعة الكبيرة (ذات السبع عشرة) مليونان من السنين الضوئية"[١].

هذا الاتساع الهائل والنظام المحكم لا يمكن أن يكون دون تدبير وقصد من خالق مدبر، ولهذا يعقب الأستاذ وحيد الدين على هذه الكشوف الفلكية قائلا: " إن العقل حين ينظر إلى هذا النظام العجيب والتنظيم الدقيق الغريب، لا يلبث أن يحكم باستحالة أن يكون هذا كله قائما بنفسه، بل إن هنالك طاقة غير عادية هي التي تقيم هذا النظام العظيم وتهيمن عليه"[٢] .

الأنظمة المعقدة :

انتقل الأستاذ من الحديث عن الكون الفسيح ونظامه إلى الحديث عن أصغر عالم معروف عند الإنسان، وهو عالم الذرة التي يصفها بأنها: أصغر عالم، وأنها قد تناهت في صغرها حتى لا يمكن أن نشاهدها بالمنظار الذي يكبر الأشياء ملايين المرات .

"هذه الذرة – مع ما وصفناها به – تحتوي بصورة رائعة على نظام الدوران العجيب الموجود في النظام الشمسي ؛ فالذرة اسم لمجموعة من الإلكترونات وهذه الإلكترونات لا يتصل بعضها ببعض وإنما يوجد بينها

---

١) الإسلام يتحدى، ص ٥٩، ٦٠ .

٢) السابق، ص ٦١ .



فراغ كبير الحجم (نسبيا). ولنأخذ مثلا قطعة من الحديد التي توجد فيها الذرات متصلا بعضها ببعض اتصالا شديدا. وسنجد أن هذه الإلكترونات لا تشغل أكثر من ١/١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ من مساحة الذرة وبقية المجال يكون خاليا ، ولو أننا أخذنا صورة مكبرة لجزيئين من الإلكترون والبروتون فسوف يكون الفاصل بينهما ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين ياردة، ولقد نتصور الذرة من حيث هي في الغبار غير مرئية ومع هذا فإن حجم دوران الإلكترون داخلها يبلغ حجم كرة قدم قطرها ثمانية أقدام "[١].

هذا التكوين العجيب للذرة لا يمكن أن يكون دون ترتيب محكم من خالق يدبر أمر الكون، ويستحيل القول بعدم الحاجة إلى مدبر، أو قيامه بنفسه "هذا النظام الذري يستحيل قيامه بنفسه ولا طريق إلى مشاهدته ولا يمكن تفسير عمله داخل الذرة بغير العلم، أما وقد تبناه العلم فعلا فلماذا لا نأخذ منه دليلا على وجود منظم قائم على هذا التنظيم؟ إنه يستحيل قيام هذا التنظيم في الذرة دون منظم قائم عليه"[٢].

وينتقل من الحديث عن الذرة وترتيبها إلى الحديث عن مخ الإنسان وخلاياه العصبية الدقيقة، وما تتكون منه من شعيرات وخلايا وأسلاك تتجاوز حدود لعقل البشري وإمكاناته، ومهمة ووظائف هذه الخلايا،

يقول: " في هذا المخ يوجد ألف مليون خلية عصبية ومن كل هذه الخلايا تخرج أسلاك تنتشر في سائر الجسم وتسمى هذه الأسلاك (الأنسجة العصبية)، وفي هذه الأنسجة يجري نظام استقبال وإرسال للأخبار بسرعة سبعين ميلا في الساعة. وبوساطة هذه الأنسجة نتذوق، ونسمع، ونرى،

---

١) الإسلام يتحدى، ص ٦٢ .

٢) السابق ، ص ٦٣ .



ونباشر سائر أعمالنا؛ بل إن هنالك ثلاثة آلاف من الشعيرات المتذوقة وتسمى Taste Buds، ولكل منها سلك عصبي خاص متصل بالمخ، وبوساطة هذه الشعيرات يحس بالمذاقات المختلفة، وتوجد في الأذن عشرة آلاف خلية سمعية، ومن خلال نظام معقد يسري من هذه الخلايا يسمع مخنا، وفي كل عين مائة وثلاثون مليونا من الخلايا الملتقطة للضوء Light Roceptors ، وتقوم بمهمة إرسال المجموعة التصويرية إلى المخ وهناك شبكة من الأنسجة الحسية على امتداد جلدنا فإذا قربنا إلى الجلد شيئا حارا، فإن ثلاثين ألفا من الخلايا الملتقطة للحرارة تحس بهذه العملية وترسلها فورا إلى المخ، وإذا قربنا إلى الجلد شيئا باردا فإن ربع مليون من الخلايا التي تلتقط الأشياء الباردة تحس به، وعندئذ يمتلئ المخ بأثرها ويرتعد الجسم وتتسع الشرايين الجلدية فيسرع مزيد من الدم إليها ويزودها بالحرارة، وإذا أحست هذه الخلايا بحرارة شديدة فإن مخابرات الحرارة توصلها إلى الدماغ وحينئذ تفرز ثلاثة ملايين من الغدد العرقية – تلقائيا– عرقا باردا إلى خارج الجسم"[١] .

وفى هذا الترتيب الذي انتقل من الكون الفسيح وما فيه من دقة وإحكام إلى الحديث عن العالم الصغير الذرة، ثم الحديث عن الإنسان وما فيه من خلايا عصبية دقيقة يتنسم الأستاذ وحيد الدين خان منهج القرآن الكريم الذي ينتقل بالقارىء نقلات مؤثرة، فالآيات تنتقل من الحديث عن الماء إلى الحديث عن النار في الاستدلال على الإعادة في سورة الواقعة، والدعوى إذا كانت صحيحة صادقة فلن يعوزها الدليل دقيقا كان أو جليلا.

تقليد الطبيعة:

---

١) السابق، ص ٦٣، ٦٤ .



انتقل الشيخ إلى الصناعة الدقيقة التي يبدع الإنسان في صناعتها في الآلات والأجهزة التي يستخدمها الإنسان من صنعه، وكيف أنها مع دقتها لا ترقى أن تقارب بله أن تماثل أو تفضل صنع الله الذي أتقن كل شيء.

يقول: "من أمثلة استغلال نظام الطبيعة في الصناعة آلة التصوير، وهى في الواقع تقليد ميكانيكي لعين الإنسان، فعدسة الكاميرا**Lens** هي كالشبكة الخارجية للعين والحجاب الحاجز **Diaphragm** هو قزحية العين **Iris** والفيلم الذي يتأثر بالضوء، إنما هو شاشة العين التي توجد فيها خطوط وأشكال مخروطية ترى الأشياء معكوسة.

لقد ابتكرت جامعة موسكو آلة نموذجية لالتقاط وقياس (الذبذبات تحت الصوتية) **Infra-Sonic Vibrations** ، وهذه الآلة تستقبل وتلتقط أخبار الفيضانات والزلازل وما أشبهها من الكوارث قبل حدوثها بمدة تتراوح بين اثنتي عشرة ساعة، وهى أقوى من الآلات المستعملة خمس مرات. فمن أين جاء هذا التفكير إلى العلماء؟ لقد استنبطوه من سمكة قنديل البحر التي تسمى (هلامي) **Jelly Fish**، فقلد المهندسون أعضائها وهى شديدة الحساسية حتى لتحس بالذبذبات تحت الصوتية"(١).

عند التفكير في هذه الصورة التي أبدعها الإنسان بقدراته المحدودة وتقوم بهذا الدور المرسوم لها بكل دقة، لا بد أن ينتقل العقل من هذا النموذج الصغير إلى الاعتراف بأن النموذج الأكبر والمخلوق الأكبر العالم لا يمكن أن يحدث أو يُتصور وجوده دون وجود خالق مدبر ينظم أمره ويحسن صنعه.

---

١) الإسلام يتحدى، ص ٦٥، ٦٦ .



" فمن المستحيل أن نتصور أن نظام الكون- الذي هو أكثر تعقيدا من أي نظام- قد قام بنفسه بغير عقل وراءه؛ بل لابد أن له مهندسا منظما- هو الإله ولا يمكن أن يتصور العقل نظاما دون منظم، فليس من اللامعقول أن نعتقد بوجود منظم للكون، بل إن من اللامعقول أن ننكر خالق هذا النظام ، فالحقيقة أن العقل الإنساني لا يملك أساسا عقليا لإنكار الإله"(١).

ثالثا: روح الكون الغريبة:

انتقل الأستاذ من الاستدلال بتوازن الأرض اليومي ودقته، وصلة الشمس بكوكبنا إلى قانون الضبط والتوازن العام الذي يحكم كل الكائنات، وتسير معه الحياة بكل دقائقها في تقدير محكم وتوازن دقيق يعجز العقل عن تصوره بله إخضاعه له، الأمر الذي يستحيل معه إنكار وجود مدبر لهذا الكون .

التوازن المدهش في الأرض:

إن مفهوم قول الله تعالى﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩] يتضح جليا عند الحديث عن الأرض ودقتها وقدر التوازن فيها.

يقول الأستاذ: " لو أن حجمها كان أقل أو أكثر مما هي عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها، فلو أنها كانت في حجم القمر مثلا ؛ بأن كان قطرها ربع قطرها الموجود فعلا. لكانت جاذبيتها سدس جاذبيتها الحالية، ونتيجة لذلك لا يمكن أن تمسك الماء والهواء من حولها، و سيترتب عليها اشتداد البرودة ليلا حتى يتجمد كل ما فيها واشتداد الحرارة نهارا حتى يحترق كل ما عليها.

---

١) الإسلام يتحدى، ص ٦٦ .



وكذلك يترتب على نقص حجم الأرض إلى مستوى حجم القمر أنها لن تمسك مقدارا كبيرا من الماء. وكثرة الماء أمر ضروري لاستمرار الاعتدال الموسمي على الأرض.

وعلى العكس من ذلك إذا كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعف جاذبيتها الحالية ، وحينئذ ينكمش غلافها الجوى.

ولو أن الأرض تضاعف حجمها فصارت مثل حجم الشمس مثلا لبلغت قوة الجاذبية فيها مثل جاذبيتها الحالية مائة وخمسين مرة ، ولاقترب غلافها الهوائي حتى يصير منها على بعد أربعة أميال فقط بدلا من خمسمائة ميل ، ولارتفع الضغط الجوي إلى معدل طن واحد على كل بوصة مربعة. وذلك يؤدى إلى استحالة نشأة الأجسام الحية. كما يهبط حجم الإنسان حتى يصير في حجم فأر كبير ، ولاستحال وجود العقل في الإنسان ، لأنه لابد للعقل الإنساني من أنسجة عصبية كثيرة في الجسم ، ولا يوجد هذا النظام إلا إذا كان حجم الجسم بقدر معين"(١).

قانون الضبط والتوازن:

إن وجود المخلوقات بأسرها على الأرض يخضع لهذا القانون الذي يحدد النسب بين أجزائها المختلفة، ويقدر لكل موجود القدر الذي تصلح معه الحياة على الأرض، فلو افترض زيادة هذا القدر أو نقصانه عن القدر الموجود لأدى ذلك إلى خلل في الكون واختلال في نظام تسييره وعمله القائم.

ويضرب الأستاذ أمثلة كثيرة على ذلك، منها " لو كانت نسبة الأوكسجين ٥٠% أو أكثر بدلا من ٢١% لزادت قابلية الاحتراق بما يساوي ارتفاع

١) الإسلام يتحدى، ص ٦٧: ٦٩ بتصرف .



هذه النسبة. فإذا احترقت شجرة واحدة في غابة حينما تكون نسبة الأوكسجين ٢١% فإن الانفجار الخاطف الناجم عن ارتفاع هذه النسبة إلى ٥٠% يجعل احتراق الغابة كلها أمرا حتميا في لحظات!

ولو أن هذه النسبة انخفضت فأصبحت ١٠% لكان من الممكن على مدى القرون أن تعتاد الحيوانات الحياة مع انخفاض نسبة الأوكسجين إلى هذا الحد، ولكنه يكون من المستحيل أن تزدهر الحضارة الإنسانية كما هي عليه في الظروف الحالية.

ولو أن الأوكسجين الموجود على سطح الأرض انجذب مع الأوكسجين الذي انجذب قبل ذلك في الأرض، لكان من المستحيل (الوجود الحيواني الحسي).

إن الأوكسجين والهيدروجين وثاني أكسيد الكربون، وغازات الكربون الأخرى على اختلاف أشكالها تتركب معا فتصبح عناصر عظيمة الأهمية للحياة الحيوانية، وللأسس التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وبناء عليه لا يوجد احتمال ١/١٠٠٠٠٠٠٠٠ أن تجتمع هذه الغازات في تناسبها المطلوب وبجميع خصائصها اللازمة للحياة على كوكب معين بطريق الصدفة"[١].

إن دليل التقدير ظاهر في خلق الأرض، بل في خلق الكون بأسره في أوضح صورة، فالأرض وما حولها من الموجودات القريبة والبعيدة تتلاءم معا في توازن تام يشمل الكون بأسره، فيؤدي كلٌ دوره بما يحقق التوازن والتناسب بين أجزاء الكون المختلفة .

---

١) السابق، ص ٧٤، ٧٥ بتصرف .



ولذلك يعقب الأستاذ على هذه الأمثلة قائلا: " أيمكن أن يكون هذا القانون–(قانون الضبط والتوازن Checks and Balances) قد حدث دون تخطيط واع هكذا صدفة واتفاقا؟!"(١).

السنن الرياضية المحكمة، نظام العناصر والدورية:

تحت هذه العناوين تتسع دائرة الاستدلال عند الأستاذ ليدخل فيها الإحكام الرياضي مع الاستدلال الكيميائي، الذي يهدف إلى نتيجة مفادها أن هذه الكشوف الحديثة، والنظريات العلمية اليقينية، والقوانين الرياضية والكيمائية في الكون تؤدي بالضرورة – لتأكيد صدقها – إلى القول بوجود إله، وإلا بطلت هذه القوانين جميعها.

يقول: " ليس من الممكن أن يطلق العلماء على هذا النظام الرائع في الطبيعة عبارة: (الصدفة الدورية) Periodic Chance ، وإنما هو (القانون الدوري) Periodic Law . وليس من الممكن أن نتنكر لما تطلبه هذه الضوابط والنظم من وجود إله ومهندس، فإن عدم إيمان العلم الحديث بالإله إنكار في الواقع لكشوفه كنتيجة حتمية!"(٢).

وبذلك ينطلق الأستاذ من هذه القوانين إلى القول بحتمية وضرورة وجود الإله، إذ أن إنكار وجود الإله يؤدي بالضرورة إلى فساد هذه القوانين.

صدفة أم عمليات حكيمة؟

يتحدث الأستاذ عن أهم حجة لدى الملاحدة، لأنه عند عجزهم عن إنكار المسلمات التي تحدثنا عنها سابقا، وعدم استطاعتهم إنكار القوانين الرياضية والكشوف الفلكية، وعدم القدرة على إنكار حقائق العلم الطبيعي

١) الإسلام يتحدى، ص ٧٧ .

٢) السابق، ص ٧٩، ٨٠ .



الواضحة، فليس له مهرب إلا أن يطرح تفسيره العلمي لكل ما سبق وينسب حدوث هذه القوانين وذلك التدبير والإحكام إلى محض الصدفة .

ينقل الأستاذ عدة نقول عن علماء غربيين يؤمنون بقانون الصدفة، ويرون أن هذا الكون بكل ما فيه إنما كان نتيجة لقانون تحكمه الصدفة، يقول: " واستمع إلى قول (هكسلى): (لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير! فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في (المادة) لبلايين السنين"[١] .

وينقل مجموعة من المقالات يتبنى أصحابها نظرية وقانون الصدفة، ويحاولون التأصيل لهذه النظرية بطريقة علمية، ولا يرونها مجرد افتراض، إنما هي نظرية علمية واضحة، يقول : "يقول أحد العلماء الأمريكيين: (إن نظرية الصدفة ليست افتراضا وإنما هي نظرية رياضية عليا، وهى تطلق على الأمور التي لا تتوفر في بحثها معلومات قطعية، وهى تتضمن قوانين صارمة للتمييز بين الباطل والحق، وللتدقيق في إمكان وقوع حادث من نوع معين وللوصول إلى نتيجة هي معرفة مدى إمكان وقوع ذلك الحادث عن طريق الصدفة"[٢].

ثم يبدأ الأستاذ في تفنيد قانون الصدفة، وبيان أن هذا الكون لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون نتيجة لقانون لا يخضع لترتيب أو تدبير، وأن القول بالصدفة يناقض القوانين العلمية الرياضية .

١) الإسلام يتحدى، ص ٨٤ .

٢) السابق ، ص ٨٥ .



ولتفنيد قانون الصدفة الرياضي يذهب أولا إلى بيان أن خلق الكون بناء على هذا القانون يتطلب ملايين السنين، بل ربما بلايين السنوات التي لا يمكن حسابها.

يقول: " إن الأجسام الحية تتركب من (خلايا حية)، وهذه (الخلية) مركب صغير جدا ومعقد غاية التعقيد، وهى تدرس تحت علم خاص يسمى (علم الخلايا) Cytology. ومن الأجزاء التي تحتوى عليها هذه الخلايا: البروتين وهو مركب كيماوي من خمسة عناصر هي الكربون والهيدروجين والنتروجين والأوكسجين والكبريت، ويشمل الجزيء البروتيني الواحد أربعين ألفا من ذرات هذه العناصر!! وفي الكون أكثر من مائة عنصر كيماوي كلها منتشرة في أرجائه، فأية نسبة في تركيب هذه العناصر يمكن أن تكون في صالح قانون (الصدفة)؟ أيمكن أن تتركب خمسة عناصر- من هذا العدد الكبير-لإيجاد (الجزيء البروتيني) بصدفة واتفاق محض؟! إننا نستطيع أن نستخرج من قانون الصدفة الرياضي ذلك القدر الهائل من (المادة) الذي سنحتاجه لنحدث فيه الحركة اللازمة على الدوام؛ كما نستطيع أن نتصور شيئا عن المدة السحيقة التي سوف تستغرقها هذه العملية.

لقد حاول رياضي سويسري شهير هو الأستاذ (تشارلز يوجين جواي) أن يستخرج هذه المدة عن طريق الرياضة. فانتهى في أبحاثه إلى أن (الإمكان المحض) في وقوع الحادث الاتفاقي -الذي من شأنه أن يؤدى إلى خلق كون إذا ما توفرت المادة- هو واحد على ١٠/٦٠ (أي ١٠×١٠ مائة وستين مرة). وبعبارة أخرى: نضيف مائة وستين صفرا إلى جانب عشرة!! وهو عدد هائل وصفه في اللغة.



إن إمكان حدوث الجزيء البروتيني عن (صدفة) يتطلب مادة يزيد مقدارها بليون مرة عن المادة الموجودة الآن في سائر الكون حتى يمكن تحريكها وضخها، وأما المدة التي يمكن ظهور نتيجة ناجحة لهذه العملية فهي أكثر من ١٠/٢٤٣ سنة[١]"[٢] .

إن عمر الكون المتسع لا يمكن بأي صورة من الصور أن يتوافق مع القوانين العلمية التي تتحدث عنها الصدفة، فبينما يقدر العلماء عمر هذا الكون بحوالي بليونين من السنوات، ووجود الحياة بأي صورة من الصور لم توجد إلا منذ حوالي بليون سنة فقط، فإن قانون الصدفة يتطلب أن يكون هذا الكون موجودا منذ بلايين السنين، وهذا محال علميا .

وقد نقل الأستاذ خلاصة بحث قام به عالم فرنسي يبحث هذه الفرضية ويفندها تماما، يقول:" لقد أعد العالم الفرنسي (الكونت دى نواي) Le Cotme de Nouy بحثا وافيا حول هذا الموضوع وخلاصة البحث: أن مقادير (الوقت، وكمية المادة، والفضاء اللانهائي) التي يتطلبها حدوث مثل هذا الإمكان هي أكثر بكثير من المادة والفضاء الموجودين الآن، وأكثر من الوقت الذي استغرقه نمو الحياة على ظهر الأرض، وهو يرى: أن حجم هذه المقادير الذي سنحتاج إليه في عمليتنا لا يمكن تخيله أو تخطيطه في حدود العقل الذي يتمتع به الإنسان المعاصر، فلأجل وقوع حادث –علي وجه الصدفة– من النوع الذي ندعيه، سوف نحتاج كونا يسير الضوء في دائرته١٠/٨٢ سنة ضوئية (أي:٨٢ صفرا إلى جانب

---

١) أي: مائتان وثلاثة وأربعون صفرا أمام عشر سنين. المعرب ، هامش ص ٨٧ .

٢) الإسلام يتحدى، ص ٨٦، ٨٧ .



عشرة سنين ضوئية!!) وهذا الحجم أكبر بكثير جدا من حجم الضوء الموجود فعلا في كوننا الحالي؛ فإن ضوء أبعد مجموعة للنجوم في الكون يصل إلينا في بضعة (ملايين) من السنين الضوئية فقط. وبناءا على هذا فإن فكرة أينشتين عن اتساع هذا الكون لا تكفى أبدا لهذه العملية المفترضة.

أما فيما يتعلق بهذه العملية المفترضة نفسها، فإننا سوف نحرك المادة المفترضة في الكون المفترض بسرعة خمسمائة (تريليون) حركة في الثانية الواحدة، لمدة١٠/٢٤٣ بليون سنة (٢٤٣ صفرا أمام عشرة بلايين)، حتى يتسنى لنا حدوث إمكان في إيجاد جزيء بروتيني يمنح الحياة"[١].

هذه المدة هي ما تحتاجه المادة لإمكانية حدوث (جزيء بروتيني) بالصدفة، فيمكننا أن نتساءل بعد ذلك: هل يمكن أن توجد ملايين الحيوانات وآلاف النباتات في هذا الكون في هذه المدة اليسيرة؟!

وثمة اعتراضات على قانون الصدفة تتمثل في سؤالين أساسين ينقضان قانون الصدفة، هما: كيف حدثت هذه الصدفة؟ ما المحرك الأول لها؟ ثم : كيف تحولت هذه الصدفة إلى قانون ثابت يتصف بصفة اللزوم؟

إنه لا بد من الإجابة على هذين السؤالين حتى يمكن الحديث عن الصدفة كمحرك ومبدأ لخلق العالم بكل ما فيه.

يقول: "من أين أتت هذه الصدفة التي حركت الكون كله؟ مع أن هذا الحادث الذي قد وقع لم تكن له أية أسباب موجودة، لا داخل المادة ولا خارجها، وأطرف تناقض هنا هو أن هذا التفسير يقرر وجوب وجود واقعة

١) الإسلام يتحدى ، ص ٨٩ .



قبل حدوث واقعة أخرى، حتى يمكن إرجاع نسبة هذه الواقعة الأخيرة إلى التي سبقتها، ولكن بالرغم من هذا يبدأ هذا التفسير نفسه من واقعة لا سابقة لها، فهذا هو الافتراض القائم بدون أي أساس، وهو الافتراض الذي أقيم عليه البناء الكامل لنظرية الخلق الصدفي [الاعتباطي] للكون ..... ثم ما هو ذلك المنطق الذي أوجد في حيز مكاني صغير كل تلك الأشياء اللازمة لحياتنا ومدنيتنا؟ ثم ما هو ذلك المنطق الذي يعمل على إبقاء هذه الأحوال دائما في صالحنا كما هي؟ أي صدفة واتفاق يتيحان حدوث هذه الإمكانات بهذا التسلسل والترتيب الجميل، ثم استمرارها لملايين السنين بحيث لا يطرأ عليها أدنى تغير يخالف مصالح الإنسان؟ هل لديكم أيها المعارضون تفسير واقعي تفسرون به صفة اللزوم التي التزمت بها وقائع مادية حدثت –بزعمكم– بمحض الصدفة، ومن أين أتت بحنينها للارتقاء الدائم نحو الأصلح بطريقة غريبة؟"[(١)]

إن القول بالصدفة بعد هذه القوانين العلمية والاستدلالات المنطقية ضرب من ضروب مخالفة العقل والعلم، ولهذا ختم الأستاذ بحثه بنقل عن عالم الطبيعة الأمريكي (جورج ايرل ديفيس) يبين فيه أن هذه الصدفة لا يمكن أن يقتنع بها عاقل.

" لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن الكون هو الإله، وهكذا ننتهي إلى التسليم بوجود (الإله) ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا: إلها غيبيا

---

١) الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، دار النفائس، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م . ص ٤٦، ٤٧ .



وماديا في آن واحد!! إننى أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي، وهو لس بجزء من هذا الكون، بل هو حاكمه ومديره ومدبره، بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات"(١) .

وبهذه الأدلة على وجود الله تعالى يضع الأستاذ نمطا جديدا في الاستدلال، جديدا بالنسبة لطريقة المتكلمين في الاستدلال، هذا المنهج يصلح أن يكون أساسا لمنهج جديد في عرض علم الكلام بصورة تناسب العقلية الحديثة، وتتماشى مع المكتشفات الحديثة والقوانين العلمية الثابتة، ولا يقف عند الأدلة المتقدمة فقط.

ومع ذلك فإن هذا المنهج ليس جديدا في عرض الإسلام كما يقرر الأستاذ، يقول: " إن نمط الاستدلال الجديد – حتى ولو كان جديدا بالنسبة للأديان والأمم الأخرى فإنه ليس بجديد بالنسبة للإسلام .. فإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الحقيقة فسيتجلى لنا أن نمط الاستدلال القرآني إنما هو نفس النمط الذي يعبر عن الاستدلال بالحقائق الطبيعية، فلا نكون مبالغين إذا قلنا: إن علم الكلام الجديد إنما هو علم الكلام القرآني، وليس علم الكلام الجديد إلا العودة إلى الكلاميات القرآنية"(٢).

إن تغيير طريقة الاستدلال الكلامي التي شاعت في أول نشأة علم الكلام نظرا لشيوع الفلسفة والمنطق وطريقتهما إلى طريقة ومنهج حديث يناسب العصر وعلومه ومعارفه، ويصح مخاطبة أهل العصر به، ليس تغييرا في طريقة علم الكلام، ولا يعد تجديدا، وإنما يُعد عودة إلى طريقة القرآن الكريم في إثبات العقائد ومحاججة المبطلين ومجادلة المعاندين.

---

١) الإسلام يتحدى، ص ٩٣ .

٢) البعث الإسلامي، وحيد الدين خان، ص ١٠٣، ١٠٤ .



يقول الأستاذ: " إن الأسلوب العلمي إنما هو أسلوب قرآني بحت، ولكن بعد أن انتشرت العلوم العقلية (المنطق والفلسفة) بين المسلمين بعد نزول القرآن بمائة سنة، سيطر الأسلوب الصناعي القديم على جميع العلوم الإسلامية مرة أخرى، وكان القرآن قد قضى على ذلك الأسلوب، فبدأ الناس يحسبون أنه امتلاك لناصية البيان أن تصاغ تعاليم الدين السمحة السهلة في قالب مصطلحات (المنطق)، وكانوا يحسبون أن من براعة الإنسان وقدرته على الكلام أن يقدمه في النثر المنظوم، أو الشعر المنثور، وقد آن الوقت لأن نعود إلى أسلوب القرآن، ونعرض الإسلام على الناس في أسلوب علمي، لأن الأسلوب العلمي في التحليل الأخير هو أسلوب القرآن، وإذا أخذنا بالأسلوب العلمي فسيعني ذلك مجرد العودة إلى أسلوب القرآن"[1].

وبناء على ذلك فإن أدلة الأستاذ التي يقدمها ويعرضها ليست صورة جديدة، أو أسلوبا غير معهود، أو نقضا للقديم بكل صوره وأشكاله، وإنما هي محاولة لإعادة عرض الأدلة في ضوء القرآن الكريم، أو بمعني آخر كما عرضها القرآن الكريم ونبه عليها كثيرا.

---

١) البعث الإسلامي، وحيد الدين خان، ص ١١٧ .

المبحث الثالث

المنهج العلمي عند المتقدمين



في الحقيقة إن الاستدلال بالمنهج العلمي الطبيعي على وجود الله عز وجل لم يكن وليد العصر الحديث، وإنما كانت له جذوره في استدلالات السابقين، غاية الفرق أنه لم يكن منهجا معتمدا، وإنما كان يُذكر عرضا، نظرا لحاجة العصر آنذاك إلى خلاف هذا المنهج، لكننا نقطع باستخدامه من متكلمي العصور السابقة.

يبدأ به أبو الحسن الأشعري قائلا: " الإنسان إذا فكر في خلقته، من أي شيء ابتدأ، وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة، وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته، وينقله من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال، علم بالضرورة أن له صانعا قادرا، عالما، مريدا، إذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة، وتبين آثار الإحكام والإتقان في الخلقة"(١).

وحقيقة هذا الكلام إنما هو منهج علمي في الاستدلال يعتمد على الملاحظة العلمية للإنسان وخلقه وانتقاله من طور إلى طور ليصل في النهاية إلى القول بوجود خالق مدبر.

واتباعا لهذا المنهج يقول حجة الإسلام الغزالي :" الطبيعة كآدم في افتقارها إلى محدث، وإن كانت الطبيعة حية لا فاعل لها ولا علة فهي الإله، فأسقطوا لفظ الطبيعة وقولوا: إله، فهذا الذي نريد بيانه، فإن الحوادث التي لا أول لها محالة، إلا إذا قلنا فعلت الطبيعة فذلك منتف، فلا

---

(١) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، ١/ ٩٤ .



بد من استناد إلى مبدأ لا علة له وليس بمعلول أصلا، وهذا يبطل اعتقاد من يقول آدم من آدم آخر"[1] .

ويستخدمه كذلك الإمام الماتريدي في إقامة الدليل على وجود الله تعالى، فيقول: "وأصل ذلك أنه لا يعاين منه شيء إلا وفيه حكمة عجيبة ودلالة عجيبة مما يعجز الحكماء عن إدراك مائيته، وكيفية خروجه على ما خرج، وعلم كل أحد منهم بقصور عقله – على ما عنده من الحكمة والعلم – عن إدراك كنه ذلك، ففي هذه الضرورة وغيرها دلالة حكمة مبدعها وخالقها، ولا قوة إلا بالله"[2] .

ولا تختص هذه الطريقة بمذهب أو فرقة، وإنما استخدمها أرباب المذاهب والفرق قاطبة، فعلى نفس النهج يسير الجاحظ المعتزلي الذي يستدل بالطبيعة وما فيها من أسرار، وبخلق الإنسان وما أودع الله تعالى فيه من القدرة والحكمة على وجود الله تعالى الصانع.

يقول: "حين نفكر في أعضاء البدن نجد لكل منه وظيفة، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والأذنان للسمع، والأنف للشم، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد المتخلص، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملتها وجدت الكل منها قد قدر على صواب وحكمة، فإذا زعمت أن هذا من فعل الطبيعة، سألناك عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على هذه الأفعال أم ليست كذلك، فإن أوجبت لها العلم والقدرة فما امتناعك عن إثبات الخالق، فإن هذه هي صفة الخالق، فإن

---

١) معراج السالكين، أبو حماد الغزالي، رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٦م، ٩٥/١ .

٢) التوحيد، الماتريدي، ص ٨٤ .



زعمت أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم وعمد فهو محال، لأن أفعالها ترى منها الصواب والحكمة، فعلم أن هذه الأفعال للخلاق العظيم، وإن الذي سميته طبيعة هي سنته، وسببه من خلقته الجارية على ما أجراها عليه"[1] .

وأكثر ما نجد هذا الدليل في استدلالات الفلاسفة، حيث نرى ابن سينا يربط بين الكون وآياته العجيبة وحكمه الغريبة، ويرى أن الطريقة الشرعية التي نبه القرآن الكريم عليها لدعوة الناس إلى الإقرار بوجود الباري سبحانه وتعالى هي الطريقة التي تعتمد على هذا الدليل.

يقول: "الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها، ودعا الكل من بابها، إذا استقرىء الكتاب العزيز، وُجدت تنحصر في جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه دليل العناية.

والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه دليل الاختراع .... فهذان الدليلان هما دليلا الشرع، وأما أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي منحصرة في هذين الجنسين من الأدلة فذلك بيّن لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى. وذلك أن الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا المعنى إذا تصفحت وجدت على ثلاثة أنواع: إما آيات تتضمن

---

١) الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، الجاحظ، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٧م، ص ٤٣ .

التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا"[1] .



1) مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة، ابن رشد، ص ١٥٠، ١٥٣ بتصرف .

الخاتمة



بعد هذا العرض الموجز يمكن أن أستخلص هذه النتائج والتوصيات:

١ – معرفة الله تعالى مركوزة في الفطر السليمة والعقول الصحيحة، وإذا سار الإنسان مع فطرته، واتبع ما يرشد إليه العقل السليم لآمن بوجود الله تعالى دون مناقشات جدلية وبراهين عقلية، لأن الأمر من الوضوح بمكان لا يحتاج معه إلى برهان ودليل .

٢ – عندما اختلطت المفاهيم وكثر المنكرون وتزعزعت ثقة العوام بعد الفتوحات الإسلامية واتصال الفكر الإسلامي بعقائد الملل الأخرى وبالأفكار الدخيلة بدأ الحديث عن وجود الله تعالى ووحدانيته تأثراً بالأفكار المعاصرة، ولجأ العلماء إلى إيراد الأدلة على وجود الله تعالى.

٣ – استدل المتقدمون على وجود الله تعالى بأدلة عقلية وبراهين منطقية يمكن تلخيص أشهرها في أدلة : الحدوث، الوجوب والإمكان، العناية والاختراع .

٤ – وجد المتأخرون أن اللغة التي كتبت بها أدلة وجود الله تعالى غامضة في عباراتها، مبهمة في دلالاتها لا ينتفع بها إلا من تمرس على هذه الطريقة، وأن منهج العصر الحديث القائم على التجريب والعلم الطبيعي لا يقتنع بهذه الأدلة .

٥ – تحدث الأستاذ وحيد الدين خان عن الحاجة إلى إيراد أدلة معاصرة تتوافق مع المنطق العلمي القائم على الطريقة الحديثة للاستدلال التي تعتمد المقاييس العقلية .

٦ – أورد الأستاذ أدلة على وجود الله تعالى تعتمد المنهج العلمي، يمكن تصنيفها تحت العناوين التالية: أزلية الخالق أم المادة ؟ ، الكشوف



الفلكية، الأنظمة المعقدة، التوازن المدهش في الكون، قانون الضبط والتوازن، السنن الرياضية المحكمة، نظام العناصر والدورية، وتحدث عن قانون الصدفة الذي يؤيده بعض الملاحدة، وتوسع في الرد على قانون الصدفة باعتباره أبرز أدلة الملاحدة.

٧ – استدل الأستاذ على هذه القوانين العلمية بنقول عن علماء غربيين يؤمنون بالمنهج العلمي التجريبي، واستفاد من بحوثهم في الاستدلال على وجود الله تعالى .

٨ – الأدلة العلمية على وجود الله تعالى ليس مخترعة ولا حديثة، وإنما تناولها المتكلمون وعرضوها، لكن بقدر يسير ولم يتوسعوا فيها .

٩ – من الأهمية بمكان التوسع في هذا المنهج، ومحاورة الملحدين بالأدلة العلمية التي تستند على العلم الطبيعي التجريبي مسايرة لعلوم العصر ولغته.

١٠ – هذا الأسلوب العلمي في إيراد الأدلة هو أحد الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم في إثبات العقائد ومحاججة المبطلين، ويمكن تسميته علم الكلام القرآني .

فهرس المراجع



١ - الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متعددة" إعداد" عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م.

٢ - إحصاء العلوم، أبو نصر محمد الفارابي تحقيق : عثمان محمد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣١م .

٣ - الإسلام والعصر الحديث، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

٤ - الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، الطبعة الثانية .

٥ - إلجام العوام عن علم الكلام، أبو حامد الغزالي .

٦ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٧ - البعث الإسلامي، وحيد الدين خان، ترجمة: محسن عثمان الندوي، مرجعة د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

٨ - تجديد الدين، وحيد الدين خان ، ترجمة الدكتور ظفر الإسلام خان.

٩ - التوحيد، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق: الأستاذ الدكتور: بكر طوبال أوغلي، والأستاذ الدكتور : محمد أروشي ، دار صادر – بيروت ، ودار الإرشاد – استانبول .

١٠ - الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، الجاحظ، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٧م .



١١ – الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، دار النفائس- بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٣ – شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، – باكستان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٤ – عيون المسائل، الفارابي، أبو نصر بن طرخان، مطبعة دار المعارف العثمانية- حيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى ١٩٢٦م.

١٥ – مجلة أبحاث الإيمان، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد الثاني، السنة الثانية، صفر ١٤١٧هـ .

١٦ – معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

١٧ – معراج السالكين، أبو حماد الغزالي، رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٦م

المقدمة، ابن خلدون، دار الجيل، بيروت .

١٨ – مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تقديم وتحقيق الدكتور: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م .

١٩ –المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تحقيق : عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو – القاهرة ، ١٩٦٢ .

٢٠ – المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق د: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢١ – النجاة، أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، الطبعة الثانية ١٩٣٨م .